الاحتجاج للقراءات وتوجيهها عند النسفي (ت537هـ)

عبد الرؤوف خليفة محمد محمد

المستخلص

تستهدف الدراسة تتناول مسألة الاحتجاج للقراءات؛ لأهميتها البالغة في هذا العلم الجليل، واستعراض مفاهيم الاحتجاج لغة واصطلاحا، وأقوال العلماء المختلفة في هذه المسألة، والكشف عن أهم أسباب الاحتجاج للقراءات, وبيان بعض صور الاحتجاج للقراءات ، والمراحل التي مر بها هذا العلم الجليل في تناول الاحتجاج للقراءات وتوجيهها، ورصد بعض الأمثلة حول لاحتجاج للقراءات من تفسير الإمام النسفي (ت537هـ).

المستخلص باللغة الانجليزية

The study aims to address the issue of protest for readings; Because of its extreme importance in this great science, and a review of the concepts of protest in language and terminology, and the different scholars' statements on this issue, and the disclosure of the most important reasons for protest against the readings, and an explanation of some forms of protest against the readings, and the stages that this great science went through in dealing with the protest against the readings and directing them, and to monitor some examples about To protest the readings from the interpretation of Imam Al-Nasafi (d. 537 AH)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد فإن أجل ما يصرف الإنسان همه وعمره هو خدمة كتاب الله تعالى وعلومه فالقراءات القرآنية علم جليل عني به العلماء قديما وحديثا لتعلقه بالقرآن الكريم, ومن اهم علوم القراءات علم الاحتجاج للقراءات, وقد رأيت أن ألقي الضوء على هذا العلم الجليل ذاكرا تعريفه وبعض صوره ومؤلفاته ومراحله بشكل موجز.

أسباب اختيار الموضوع، منها:

1-أهمية علم القراءات والاحتجاج لها.

2-قلة الدراسات العلمية التي تتناول علم الاحتجاج كدراسة مستقلة.

3- قيمة هذا العلم في تفسير وبيان المراد من كلام الله تعالى.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع اتضح للباحث أنه ليس هناك دراسة تناولت الاحتجاج عند النسفي(ت537هـ) في تفسير " التيسير في التفسير"، ولذا وقع اختياري على هذا الموضوع وجعلت له العنوان التالي(الاحتجاج للقراءات وتوجيهها عند النسفي (ت537هـ).

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في منهج الدراسة على "المنهج الاستقرائي التحليلي" من خلال تفسير و شرح وتحليل مواضع الاحتجاج للقراءات التي يقوم الباحث بدراستها، حيث يتمكن من مقارنة أوجه الشبه والاختلاف لبيان مفاهيم الاحتجاج لغة واصطلاحا, وذكر بعض صور ومراحل الاحتجاج، ثم بيان أهم الكتب التي عنيت بالاحتجاج للقراءات, ثم أمثلة للاحتجاج من تفسير النسفي، من أجل الخروج بتفسيرات من خلال عملية النقد الإيجابي، من أجل استنتاج قاعدة أو نظرية يمكن الاعتماد عليها في معالجة موضوع الدراسة .

تعريف الاحتجاج ومصطلحاته.

الاحتجاج: افتعالٌ من الحج, وهو القصد[1].والحجة لغة: البرهان والدليل, وما دوفع به الخصم[2]. وقال الليث[3]: الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة[4]. وجمع الحجة: حُجَج وحِجَاج[5]. واحتج بالشيء: اتخذه حجة, قال الأزهري:" إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقتصد لأن القصد لها وإليها؛ وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك"[6].

ويعرف الجرجاني الحجة –اصطلاحا– بقوله:" ما دُلَ به على صحة الدعوى"[7]. فالاحتجاج كما قال أحد الباحثين[8]: هو تقديم الحجة.

ومن هنا ومن خلال هذه المعاني يمكن تعريف الاحتجاج بأنه: " علم يقصد به تبيين وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها" [9].

وهذه الوجوه والعلل متنوعة, فتارة تكون وجها نحويا, أو صرفيا يتعلق بوزن الكلمة أو اشتقاقها, أو وجها لغويا يبرز في علم الأصوات, وتظهر في تعليلاته لغات العرب " لهجاتهم" وأمثالهم وأقوالهم وأشعارهم, معالم واضحة. أو وجها معنويا تتوقف معرفته على أسباب النزول, أو معرفة التفسير وغريب الألفاظ القرآنية, أو وجها نقليا تارة يعتمد على قراءات متواترة أو شاذة أو تفسيرية, وتارة يعتمد على أحاديث, أو على رسم المصحف[10].

أسباب الاحتجاج للقراءات وأصوله.

منذ أواخر القرن الثاني الهجري اشتد نشاط أعداء الإسلام والحاقدين عليه، وقد أخذ هذا النشاط ينمو حتى قَوِيَ واستحصد في القرن الثالث الهجري، وما تلاه من قرون، حين ارتفعت راية الإسلام على كثير من الأقطار، ودخلت شعوب كثيرة في دين الإسلام بعضها صادق في إيمانه، وبعضها حاقد يعمد إلى شبهات يثيرها حول الكتاب والسنة؛ رغبة في إشباع نهمه في الإلحاد، وإشاعة البلبلة والعبث والفساد، وقد أصاب القراءات شرر من كيد الكائدين في هذه العصور التي شاعت فيها الزندقة، وتفشاها الإلحاد؛ حيث يثيرون مثل هذه الأسئلة: ما سند هذه القراءات؟ وما حجتها؟ ولِمَ ذهب ذلك القارئ هذا المذهب؟ وهل له مُعتمَد من اللغة والنحو؟ من هنا تجرد النحاة والقراء –فيما ألَّفوا من كتب في الاحتجاج– للرد على هؤلاء، وآثروا القياس والنظر وأعملوهما فيما هو ثابت

بالنقل والأثر؛ حتى يتصدوا للمعاندين ويواجهوهم بأسلحتهم نفسها التي جردوها في وجوه المسلمين وكتابهم المبين[11].

وكأن ابن مجاهد أثار بذلك موضوع الاحتجاج وبيان القراءات؛ ومن ثَمَّ نرى تلامذته ومعاصريه بدءوا بالتأليف في الاحتجاج، وأغلب المؤلفات في علم الاحتجاج أُلفت بعد ابن مجاهد في القرن الرابع الهجري، فنرى أن علم الاحتجاج أصبح ظاهرة من ظواهر التأليف في القراءات، وأذكر هنا بعض الأسباب التي بعثت الهمم في نفوس العلماء والمؤلفين وحفزتهم للتأليف في علم توجيه القراءات والاحتجاج لها, وهي كثيرة, ومذاهبها شتى, ووسائلها متعددة, وغاياتها مختلفة؛ **ومنها:**

1ـ الرغبة الملحة في الكشف عن معنى القراءة من حيث التفسير، والإعراب، واللغة.

2ـ الدفاع عن القراءات القرآنية والانتصار لها بالكشف عن حججها وعللها ومعانيها استشهاداً بآيات القرآن الكريم، وقواعد اللغة، وأشعار العرب.

هنا قرر ابن الجزري: أنه يجب على من يشتغل بهذا العلم أن يعلم من الأصول قدر ما يدفع به شبهة من يطعن في بعض القراءات[12]

3ـ تخريج وجوه القراءات الصحيحة المتعددة والاستدلال على صحة سندها وتواترها.

4ـ الجمع بين القراءتين المختلفتين وردهما إلى معنىً واحد إن أمكن أو التوفيق بين المعنيين المختلفين ، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[13] . قال أبو جعفر الطبري:" يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوّكم، أيها المؤمنون آخرون. (وآخرون مرجون)، يعني: مُرْجئون لأمر الله وَقضائه. يقال منه: (أرجأته أرجئه إرجاءً وهو مرجَأ)، بالهمز وترك الهمز، وهما لغتان معناهما واحد. وقد قرأت القرأة بهما جميعاً"؛ وقوله تعالى: ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾[14], يقرأ بفتح الشين وضمها, فالحجة لمن فتح: أنه أراد به المصدر، والحجة لمن ضم: أنه أراد الاسم، وقيل: هما لغتان معناهما واحد.

5ـ توجيه مشكل القراءات والاحتجاج لها دفعاً لإيهام التعارض والتناقض بين وجوه القراءات.

6ـ الرد على من تأول من أهل القبلة ممن اشتبهت عليه قواعد النحو ووجوه التفسير, فطعن في القراءات بحجة مخالفتها النظر والقياس عنده ومواجهتهم بآلتهم وسلاحهم الذي طعنوا به في القراءة.

7ـ توضيح الأركان الثلاثة التي وضعها العلماء لصحة القراءة عن النبي ﷺ, وهي: صحة السند، على خلاف بين العلماء لكن رأي الجمهور أنه لابد من اشتراط التواتر, وهو الركن الأساسي وأما موافقة العربية ولو بوجه من وجوهها، وموافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً, فالغالب أنهما أضيفا ليتكون من الثلاثة ما ينطبق تمام الانطباق على القراءات العشر المتواترة, وليخرج من القراءات ما لم يوافق المصحف العثماني.

أما عن الأصول التي اعتمد عليها العلماء في الاحتجاج للقراءات, فمنها:

1) الاحتجاج للقراءات القرآنية بآيات وردت في مواضع أخرى, ومن أمثلة ذلك: ما ذكره أبو على الفارسي في كتابه (الحجة للقراء السبعة) حين تتعرض لاحتجاجه لقراءة أبي عمرو البصري: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾[15] قال:" وحجة من خفف قوله: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾[16], وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾[17].

2) الاحتجاج بأسباب النزول: ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾[18] قال ابن زنجلة في "حجته" :" قرأ ابن عامر ونافع ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾ بفتح الخاء وضم الذال, وحجتهما أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم ﷺ أنهم أتخذوا مقام إبراهيم مصلى, وهو مردود إلى قوله: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾ , وقرأ الباقون (واتخذوا) بكسر الخاء, وحجتهم في ذلك ما روي في التفسير أن النبي ﷺ أخذ بيد عمر فلما أتى على المقام قال له عمر هذا مقام أبينا إبراهيم ﷺ قال: نعم قال أفلا نتخذه مصلى فأنزل الله ﷻ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾[19].

3) الاحتجاج بالرسم: ومثاله: في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[20] يقول ابن خالويه:" قوله تعالى: ﴿الصراط﴾ تقرأ بالصاد والسين وإشمام[21] الزاي. فالحجة لمن قرأ بالسين: أنه جاء به على أصل الكلمة. والحجة لمن قرأ بالصاد: أنه أبدلها من السين؛ لتؤاخي السين في الهمس[22] والصفير[23]، وتؤاخي الطاء في الإطباق[24]، لأن السين مهموسة والطاء مجهورة. والحجة لمن أشم الزاي: أنها تؤاخي السين في الصفير وتؤاخي الطاء في الجهر[25], ويقول مكي:" وحجة من قرأ بالصاد أنه اتبع خط المصحف"[26].

4) وفي قراءة قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ ﴾[27] بعد أن ذكر ابن زنجلة قراءة حمزة بحذف الهاء في الوصل... قال:" وقرأ ذلك الباقون بالهاء في الوصل, ولا اختلاف في الوقف في ذلك أنه بالهاء لثباتها في الخط. وفي قراءة ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾, ﴿وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾, ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[28] قال ابن خالويه:" تقرأ الثلاثة بإثبات الألف وصلا ووقفا، وبحذفها وصلا ووقفا، وبإثباتها وقفا وطرحها وصلا. فالحجة لمن أثبتها وصلا ووقفا: أنه اتبع خط المصحف، لأنها ثابتة في السواد، وهي مع ذلك مشاكلة لما قبلها من رءوس الآي. وهذه الألفات تسمى في رءوس أبيات الشعر قوافي، وترنما وخروجا. والحجة لمن طرحها: أن هذه الألف إنما تثبت عوضا من التنوين في الوقف، ولا تنوين مع الألف واللام في وصل ولا وقف. والحجة لمن أثبتها وقفا وحذفها وصلا: أنه اتبع الخط في الوقف، وأخذ بمحض القياس في الوصل، على ما أوجبته العربية فكان بذلك غير خارج من الوجهين[29].

صور الاحتجاج للقراءات ومراحل التأليف فيه.

تنوعت صور الاحتجاج للقراءات القرآنية , فتارة كان يستدل لها بآية أخرى من القرآن الكريم, قال البيضاوي: " مالك يوم الدين" قراءة عاصم والكسائي و يعقوب ويعضده قوله تعالي: ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[30] " وقرأ الباقون (ملك), وهو المختار؛ لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله تعالي:﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ﴾[31] ولما من التعظيم والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك, والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك"[32].

وتارة يستدل لها بقراءة أخري, كما في قراءة ﴿ أرجلكم﴾ بكسر اللام, فقد ذُكِرَ أن حجة الكسر فيها موافقة السنة النبوية في جواز المسح علي الخفين, ووجه الكسر إعرابيا المجاورة, قال أبو الليث السمرقندي: "يقال " صار كسرا بالمجاورة ' كما قال في آية أخري:﴿وحورٍ عينٍ﴾ قرأ بعضهم بالكسر بالمجاورة .

فالملاحظ هنا أنه قد استدل لقراءة كسر اللام في لفظ (ارجلكم) بقراءة (وحورٍ عين) بالكسر.

وتارة يستدل لها بالحديث الشريف, كما في قراءة (مالك) بالألف, قال أبو الليث السمرقندي: " قرأ نافع وابن كثير وحمزة وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر: (ملك) يغير الألف, وقرأ عاصم والكسائي بالألف, فأما من قرأ بالألف قال: لأن المالك أبلغ في الوصف؛ لأنه يقال: مالك الدار, ومالك الدابة, ولا يقال: ملك إلا لملك من ملوك, وأما من قرأ : (ملك) بغير ألف, قال: لأن الملك أبلغ في الوصف؛ لأنك إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة يكون ذلك كناية عن الولاية دون الملك, وإذا قلت: فلان مالك هذه البلدة كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة, وروى مالك بن دينار عن أنس بن مالك, قال: كان رسول الله ﷺ و أبوبكر وعمر وعثمان وعلى يفتتحون الصلاة بـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وكلهم يقرءون ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ بالألف[33].

وتارة يستدل لها بالشعر العربي، قال ابن الجوزي:" واختلف القراء في قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[34], فقرأ ابو عمرو بن العلاء (إن هذين) على إعمال (إن), وقال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ (إن هذان), وقرأ ابن كثير (إن) خفيفة (هذان) بتشديد النون, وقرأ عاصم في رواية حفص (إن) خفيفة و(هذان) خفيفة أيضا, وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (إنَّ) بالتشديد و(هاذان) بألف ونون خفيفة, فأما قراءة أبى عمرو فاحتجاجه في مخالفة المصحف بما روى عن عثمان وعائشة أن هذا من غلط الكاتب على ما حكيناه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[35], وأما قراءة عاصم, فمعناها: ما هذان إلا ساحران، كقوله تعالى:﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[36], أي: ما نظنك إلا من الكاذبين, وأنشدوا في ذلك :

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلماً ... حلت عليه عقوبة المتعمد

أي: ما قتلت إلا مسلماً قال الزجاج: ويشهد لهذه القراءة ما روي عن أبى بن كعب أنه قرأ (ما هذان إلا ساحران), وروي عنه (إن هذان إلا ساحران), ورويت عن الخليل (إن هذان) بالتخفيف والإجماع على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل, فأما قراءة الأكثرين بتشديد (إن) وإثبات الألف في قوله: هاذان, فروي عطاء عن ابن عباس أنه قال: هي لغة بالحارث بن كعب, وقال ابن الانباري: هي لغة لبني الحارث بن كعب وافقتها لغة قريش, قال الزجاج: وحكي أبو عبيدة عن أبى الخطاب, وهو رأس من رؤوس الرواة: أنها لغة لكنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون: أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان وأنشدوا:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأي ... مساغاً لناباه الشجاع لصمم

وتارة يستدل لها بأقوال العلماء، قال ابن الجوزي:" قوله تعالى: ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾[37] قال ابن عباس: أصابهم يوم أحد قرح, فشكوا إلى النبي ﷺ مالقوا, فنزلت هذه الآية، فأما المس فهو الإصابة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ونافع (قرح) بفتح القاف، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (قرح) بضم القاف, واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا؟ فقال أبو عبيد: القرح بالفتح الجراح والقتل, والقرح بالضم ألم الجراح، وقال الزجاج: هما في اللغة بمعني واحد, ومعناه: الجراح وألمها "[38].

مراحل الاحتجاج والتأليف فيه:

مر الاحتجاج للقراءات بمراحل عدة حتى استوى على سوقه, ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى ما يلي:

- **<u>المرحلة الأولى:</u>**

تعد هذه المرحلة هي مرحلة الاحتجاجات الفردية التي كانت منثورة في ثنايا الكتب يدعو لها المقام, وترد عند الاقتضاء[39], وقد ذكر أصحاب هذه الاحتجاجات حججا لغوية ونحوية لبعض القراءات, ولم يكن هناك تدوين ولا وضع لكتب في هذا المجال[40].

ومثاله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما المتوفى سنة 68هـ: أنه قرأ " ننشرها" بالراء من قوله تعالى:﴿ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ ﴾[41], واحتج بقوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾[42].

واحتجاجه يبين أن مراده من قراءته (ننشرها) بمعنى نحييها.

- **<u>المرحلة الثانية:</u>**

هذه الخطوة عبارة عن: آراء احتجاجية منثورة في كتب.

هذه الخطوة لم تكن منفصلة عن سابقتها, وإنما هما متداخلتان ومتتابعتان, وفي هذه الخطوة بدأ العلماء بالتأليف والتدوين في علم الاحتجاج, وكانت كتبهم تجمع بين القراءات المتواترة والشاذة دون تمييز, ومن هذه الكتب يأتي كتاب سيبويه المتوفى سنة 180هـ, والذي يعده بعض الباحثين العمدة في منهج الاحتجاج للقراء والنحاة[43].

ومن الكتب التي ألفت في الاحتجاج ما يلي:

* كتاب "معاني القرآن" ليحيى بن زياد الفراء المتوفي سنة 207هـ.
* كتاب " معاني القرآن" للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة 215هـ.
* كتاب" معاني القرآن وإعرابه" لإبراهيم بن السري الزجاج المتوفى سنة 311هـ.
* كتاب" معاني القرآن" لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة 338هـ.

<u>ومن كتب التفسير التي حوت آراء للاحتجاج كثيرة منها :</u>

- تفسير " محمد بن جرير الطبري, المتوفي سنة 310هـ.
- تفسير " الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي المتوفى سنة 671هـ.
- تفسير " البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة 745هـ. وغيرها من كتب التفسير[44].

- **<u>المرحلة الثالثة:</u>**

وهي المرحلة التي ظهرت فيها مصنفات مستقلة بالاحتجاج, حيث كان التدوين فيها مقتصرا على المتواتر من القراءات فقط, وكان ذلك بعد قيام ابن مجاهد بوضع كتاب "السبعة" وبعده وضعت الكتب الكثيرة. ومنها:

- "كتاب وجوه القراءات": لهارون بن موسى الأعور ت في حدود سنة 170هـ.
- " الجامع " ليعقوب بن إسحاق الحضرمي, أحد القراء العشرة المتواترة, ت سنة 205هـ.
- جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات, ونسب كل حرف إلي من قرأ به .
- "القراءات " لأبي عبيد القاسم بن سلام ت سنة 224هـ. ضمن كتابه قراءات الأئمة السبعة, وأضاف إليها خمسة وعشرين قارئا, وعلل ما أورد من قراءات .
- " الحجة في القراءات " لأبي الحسن أحمد بن الصقر المنبجي ت سنة 366هـ.
- "علل القراءات " لأبي منصور الأزهري ت سنة 370 هـ.
- " إعراب القراءات السبع وعللها " المعروف بـ" القراءات " لابن خالويه ت سنة 370هـ.
- " الحجة في القراءات السبع " له أيضا.
- " المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها" لابن جني سنة 392هـ. وقد اختصره في:
- " حجة القراءات " لابن زنجلة ت بعد سنة 403هـ.

- " الكشف عن وجوه القراءات السبع والعلل وحججها " لمكي بن أبي طالب, سنة 437هـ.
- " شرح الهداية " لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي ت سنة 440هـ.

أمثلة لصور الاحتجاج في تفسير النسفي.

من المعلوم أن أكثر الوجوه والصور التي تذكر احتجاجا للقراءات إنما هي وجوه لغوية، ومنها ما ليس كذلك، والحديث هنا عنها، كالاحتجاج بالقرآن الكريم، ورسم المصحف، والقراءات الشاذة، واتفاق جماعة القراء، والتفسير، والآثار، وأسباب النزول.

ومن أمثلة الاحتجاج للقراءات بالقرآن الكريم في تفسير النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[45] قال النسفي:" ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾, قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وعاصم في رواية المفضل عنه: (حَسَنا) بفتح الحاء والسين على صيغة النعت, وهو نعت القول؛ أي: قولا حسنا. وقرأ الباقون (حُسْنا) بضم الحاء, وهو اسم مصدر. وقال الأخفش: الحُسْن بالضم عام يقع على جميع معاني الحسن[46], قال تعالى:﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ﴾[47].

ومن أمثلة الاحتجاج برسم المصحف عند النسفي في تفسير قوله تعالى:﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾[48] قرأ ابن عامر: ﴿ إِلَّا قَلِيلٗ مِّنۡهُمۡۖ﴾, بالنصب, وكذا هو في مصاحف أهل الشام, وقيل: هو قراءة أبي بن كعب [49].**ووجهه:** أنه استثناء بعد تمام الكلام, ومعناه: لكن, والقراءة الظاهرة بالرفع بالفعل, وتقديره: ما فعله إلا قليل منهم, وإنما جمع مع تقدم الفعل على الفاعل على لغة بعض العرب, وهو كقول قائلهم: **يلومونني في اشتراء النخيـ ـــــل قومي وكلَّهَم ألومُ**[50]

ومثال الاحتجاج للقراءة المتواترة بالقراءة الشاذة عند النسفي في قوله تعالى:﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾[51], قال النسفي:" وقد قرئ:(والعمرةُ لله) بالرفع على الابتداء. وهي قراءة علي وعبدالله رضي الله عنهما والشعبي[52].

الاحتجاج بأقوال أهل العلم من المفسرين والقراء والنحاة:

قوله تعالى: ﴿ هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾, قال النسفي:" وقرأ نافع: (عسيتم) بكسر السين, وقال أبو حاتم: لا وجه له في العربية, وهو مردود في القياس"[53].

ومن أمثلة ذلك عند النسفي: في قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله): قال النسفي:" منهم من وقف على هذا, وقال: لا يعلم المتشابه إلا الله, وفي مصحف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به﴾[54]. ومن الوقف التام: في قوله : (وابتغاء تأويله)، (وما يعلم تأويله إلا الله) تام على قول من زعم أن الراسخين لم يعلموا تأويله، وهو قول أكثر أهل العلم من المفسرين والقراء والنحويين. وفي قراءة عبد الله تصديق لذلك (ويقول الراسخون في العلم) [55].

الاحتجاج للقراءات بالشعر العربي:

ومن أمثلته عند النسفي قوله تعالى:﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ ﴾ قرأ حمزة بتاء المخاطبة كما مر, وهي للنبي ﷺ, و(الذين) مفعول, و(أنما نملي) بدل عنهم, وفعل الحسبان واقع عليهم, وهو كقول الشاعر:

فما كان قيس هُلْكُهُ هُلْك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدما[56]

وقرأ الباقون: (ولا يحسبن) بياء المغايبة, وهي نهي مغايبة, و(الذين) فاعل, و(أنما) مفعول؛ أي: لا يظنن الكفار إن إملاءنا لهم خير[57].

- أسباب النزول:

ومن الاحتجاج للقراءات بأسباب النزول نحو قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾[58] ، قال النسفي:" والقراءة الفاشية فيه ضم التاء واللام, ورفعه من وجهين: الاستئناف والحال, أي: أرسلنا بشيرا ونذيرا غير مسئول عن أهل النار, إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب, فلا تذهب نفسك عليهم حسرات, ولذلك قال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[59], وقال تعالى:﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[60].

وقرأ نافع(ولا تَسْأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام. قال الزجاج: لها وجهان:

أحدهما: النهي عن المسألة, قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ يوما:" ليت شعري؛ ما فعل أبواي؟, فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾, فلم يذكرهما حتى توفاه الله عز وعلا[61].

والثاني: التفخيم لما أعد لهم من العذاب؛ كما يقال: لا تسأل عن حال فلان؛ أي: قد صار إلى أعظم مما يظن به.

وقرئ بضم التاء وجزم اللام, وهو نهي أن يسألوه عن أصحاب النار. ولما أمر بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين؛ كان يذكر عقوبات الكفار, فقام رجل وقال : يا رسول الله؛ أين والدي؟ فقال:" إن والدي ووالديك ووالد إبراهيم عليه السلام في النار", ونزل قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾, فلم يسألوه شيئا بعد ذلك[62], وهو كقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾[63].

وعلى القراءة الفاشية ذكر في نزول هذه الآية عن الضحاك قال: لما فرغ النبي ﷺ عن قتال أهل مكة يوم بدر, ورمى بقتلاهم في القليب؛ نادى بأعلى صوته:" ألم أنذركم؟ ألم أتقدم إليكم؟ ألم أحذركم؟ فقد نزل بكم ما نزل". وهو يتوجع لهم ويقول في مقالته:" أي رب, قد أعذرت إليهم؟" فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقد قال مقاتل: قال النبي ﷺ :" لو أنزل الله تعالى بهؤلاء الذين قالوا: لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية. عقوبة بما قالوا", فنزلت: ﴿وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾, وإن الله قد أحصاها عليهم"[64].

النتائج والتوصيات

1. تبين للباحث أن النسفي رحمه الله كان من المفسرين المهتمين بعلم الاحتجاج للقراءات في تفسيره.
2. ظهر جليا توظيف القراءات القرآنية بما يخدم المعنى التفسيري في تفسير النسفي.
3. أهمية علم الاحتجاج للقراءات، فهو يقف جنبا إلى جنب مع القراءات في بيان قيمة التفسير.
4. أوصي بتكثيف الجهود لدراسة علم الاحتجاج للقراءات بصورة أوسع في دراسات علمية.
5. جمع ما تفرق من صور الاحتجاج للقراءات في كتب التفسير وجعلها في معجم أو مسانيد أو أجزاء مستقلة تيسيرا على طلاب هذا العلم الجليل.
6. الاهتمام بإبراز العلماء الذين اعتنوا بعلم الاحتجاج في دراسات مستقلة لبيان جهودهم .

الهوامش

---

[1] – شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي ص93.

[2] – بتصرف من : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، 121/1، المكتبة العلمية – بيروت –ح ج ج –، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي – ح ج ج–.

[3] – الليث بن المظفر كما قال الأزهري، وقال ابن المعتز: الليث بن رافع بن نصر بن سيار، ولا يعرف له تاريخ مولد ولا وفاة. انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي 43/17–52.

[4] – تهذيب اللغة، الأزهري –ح ج ج – 72/4.

5 – السابق ولسان العرب، ابن منظور (ح ج ج) 228/2.

6 – السابق نفس الصفحة.

7 – التعريفات، الجرجاني ص 82.

8 – هو الدكتور عبدالفتاح شلبي في بحث له بعنوان" الاحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره" نشر في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي التي تصدر في كلية الشريعة بجامعة أم القرى (العدد الرابع) سنة 1401هـ ص 87.

9 – مقدمة شرح الهدية لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي 18/1.

10 – السابق نفص الصفحة.

[11] – صفحات في علوم القراءات، المؤلف: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، 294-296، المكتبة الأمدادية الطبعة الأولى- ١٤١٥ هـ.

12 – منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري ص 62.

13 – سورة التوبة، الآية: 106

14 – سورة الواقعة، الآية : ٥٥.

15 – سورة الأعراف، الآية:40.

16 – سورة القمر، الآية:11.

17 – سورة الأنعام، الآية:44.

18 – سورة البقرة، الآية:125.

19 – حجة القراءات، ابن زنجلة ص 114.

20 – سورة الفاتحة، الآيتان:6-7.

21 – الإشمام: المراد بالإشمام هنا: خلط صوت الصاد بصوت الزاي فيمتزجان، فيتولد منهما حرف ليس بصاد، ولا زاي. (شرح ابن القاصح على الشاطبية:ص 34.

22 – الهمس: لغة: إخفاء الصوت، واصطلاحا: جري النفس مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج. وحروفه عشرة، يجمعها لفظ: (فحثه شخص سكت).

23 – الصفير: لغة صوت تصوت به الطيور، واصطلاحا: صوت يخرج بقوة مع الريح من بين طرف اللسان والثنايا.

وحروفه: السين- الصاد- الزاي.

24 – الإطباق: لغة: الإلصاق، واصطلاحا: تلاقى طائفتي اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف. وحروفه أربعة.

25 – الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ص 63، 64.

26 – الكشف، لمكي ص 56.

27 – سورة البقرة، الآية:259.

28 – سورة الأحزاب، الآيات 10-66-67.

29 – الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ص 289.

[30] – سورة الانفطار، الآية:19.

[31] – سورة غافر، الآية:16.

[32] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ص55.

[33] –تفسير بحر العلوم، السمرقندي 1/80-81.

34 – سورة طه، الآية:63.

35 – سورة النساء، الآية:162.

36 – سورة الشعراء، الآية:186.

37 – سورة آل عمران، الآية:140.

38 – زاد المسير في التفسير، ابن الجوزي1/466.

39 – انظر: أبو علي الفارسي–حياته ومكانته وبين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو، عبدالفتاح شلبي، ص 160، طبعة المطبوعات الحديثة جدة . المملكة العربية السعودية.

40 – منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي من خلال كتابه" الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، حوى فرجاني، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي ص 79، عام 2015م.

41 – سورة البقرة، الآية:259.

42 – سورة عبس ، الآية:22.

43 – انظر: أبو علي الفارسي، د شلبي ص 160.

44 – الفتوحات الإلهية في توجيه القراءات القرآنية، محمد سلامة. ص 13–14.

45 – سورة البقرة، الآية:83.

46 – التيسير في التفسير، النسفي 304/2 .

47 – سورة العنكبوت، الآية:8.

48 – سورة النساء، الآية:66.

49 ـ نسبها الثعلبي في تفسيره ص 341 لأبي بن كعب وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق وابن عامر.

50 – أنشده الفراء في " معاني القرآن" 316/1، وابن جني في" سر صناعة الإعراب" 629/2، وابن الشجري في " الأمالي" 201/1 دون نسبة، ونسبه أبو حنيفة الدينوري في كتاب" النبات" كما نقله عند عبدالقادر البغدادي في " شرح أبيات المغني" 133/6، والراغب في "محاضرات الأدباء"616/2 لأحيحة بن الحلاج، وقافيته فيهما:" يعذل" بدل" ألوم"، ولم يرد في ديوان أحيحة، وينسب أيضا لأمية بن أبي الصلت، وذكره محقق " ديوانه" في: ما أنشد لأمية وليس له ص554. وانظر تتمة تخريجه فيه. وانظر: هامش التيسير في التفسير، النسفي 94/5.

51 – سورة البقرة، الآية:196.

52 – التيسير في التفسير، النسفي121/3.

53 – انظر: اعراب القرآن للنحاس" 325/1. والتيسير في التفسير، النسفي 295/3.

54 . تفسير الثعلبي 15/3 ، وكذا كان يقر ابن عباس كما رواه عنه الطبري في تفسيره 218/5.

55 . المكتفى في الوقف والابتدا، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)،تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، 37/1، دار عمار، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م.

56 . البيت لعبدة بن الطيب في رثاء قيس بن عاصم، وهو في " الكتاب " لسيبويه 156/1، والشعر والشعراء ، لابن قتيبة 718/2، ومعاني القرآن، الزجاج 491/1.

57 – التيسير في التفسير، النسفي369/4.

58 – سورة البقرة، الآية:119.

59 – سورة الشعراء، الآي: 3.

60 – سورة البقرة، الآية:134.

61 – أخرجه الطبري في تفسيره 481/2، وابن أبي حاتم في تفسيره 217/1 رقم 1151 عن محمد بن كعب القرظي، وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف. انظر:" ميزان الاعتدال" 405/4–406. وذكره الثعلبي في تفسيره 265/1 عن ابن عباس رضي الله عنهما.

62 – ذكره بألفاظ قريبة مقاتل في تفسيره 51/4. وأخرج مسلم في صحيحه رقم 203 عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال:" في النار"، فلما قفى دعاه فقال:" إن أبي وأباك في النار".

63 – سورة المائدة، الآية:101.

64 – التيسير في التفسير ، النسفي 424/2–426.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أبو علي الفارسي–حياته ومكانته وبين أئمة التفسير والعربية وآثاره في القراءات والنحو، عبدالفتاح شلبي، طبعة المطبوعات الحديثة جدة . المملكة العربية السعودية.
3. الاحتجاج للقراءات بواعثه وتطوره وأصوله وثماره"، عبدالفتاح شلبي، نشر في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي التي تصدر في كلية الشريعة بجامعة أم القرى (العدد الرابع) سنة 1401هـ ص 87.
4. إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
5. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
6. بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)
7. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
8. التيسير في التفسير، أبو حفص النسفي نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، دار اللباب، الطبعة الأولى 1440هـ–2019م.
9. حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني.

10. الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.
11. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت
12. شذا العرف في فن الصرف، المؤلف: أحمد بن محمد الحملاوي (ت ١٣٥١هـ)، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الناشر: مكتبة الرشد الرياض.
13. صفحات في علوم القراءات، المؤلف: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، الطبعة الأولى– ١٤١٥ هـ. الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
14. الفتوحات الإلهية في توجيه القراءات القرآنية، محمد سلامة. مطبعة الاتحاد التعاوني للطباعة القاهرة– جسر السويس الطبعة الأولى 1420هـ– 1999م.
15. كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
16. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مثبت أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥)، أصل التحقيق: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.
17. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
18. المكتفى في الوقف والابتدا، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)،تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، الطبعة الأولى 1422 هـ – 2001 م.
19. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.
20. منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي من خلال كتابه" الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، حوى فرجاني، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي ص 79، عام 2015م.